دَور الإيمان والثقة بالنفس في بناء شخصية الفتاة العراقية

دراسة نظرية تحليلية عن طبيعة شخصية الفتاة العراقية

د. شاكر حسين الخشالي shakr43@yahoo.com
باحث في علم الاجتماع

الكلمة المفتاحية : الثقة بالنفس Keyword: self-Confidence
تاريخ استلام البحث : ٢٠١٧/١١/١٩
DOI:10.23813/FA/73/93
FA-201803-73C-93

ملخص :
تم تناول الموضوع بدءً بالتعريف بالشخصية الإنسانية ، وكيفية بنائها وخصائصها والعوامل التي تؤثر في حياة الإنسان على تكوينها ، مروراً بمراحل هذا البناء والتكوين للشخصية ، بعدها تم تبيان أبرز ملامح الشخصية العراقية في الماضي والحاضر والجوانب الحضارية والاجتماعية والنفسية التي تدخلت في صياغة ورسم هذه الملامح ، مع الإشارة إلى كيفية تأثر هذا الرسم في الشخصية العراقية بما حققه النهوض التنموي الحضاري الذي شهده العراق بالعقدين السادس والسابع من القرن الماضي ، والذي مع الأسف تم هدم ما نصلح منه في بناء الذات لا بل وتأثر حتى الأساس الأصلي للبناء بسبب حرب العقد الثامن من القرن نفسه ، ثم دخلت في جوهر الهدف والغاية وهو التعريف بمفهوم الإيمان والثقة بالنفس وعوامل غرسها في شخصية الفتاة العراقية ، وأثر التربية والتنشئة الاجتماعية السليمة والصحيحة وطريقة إكسابها للفتاة وتشريبها في ذاتها الاجتماعية لتبني شخصيتها المعتدلة المتزنة القوية ، وتم الختام باستنتاجات وتوصيات قوامها التربية والتنشئة الصحيحة والسليمة التي تحققها رعاية الأسرة مادياً ومعنوياً بشكل متكامل الجوانب ، وتشجيع دور المرأة في البناء في مجالات الحياة كافة .

The Role of Faith and self-Confidence in Building Personality of The Iraqi Girl

Shaker Husain Alkshali

Abstract :

This subject has dealt first with identifying the human personality and how to build it, aspects, and factors that affect the human life on composing it going through stages of this building and composing of personality. Then it showed the most distinguished features of Iraqi personality during the past and present, and the civilized, social, and psychological sides that interfered in crafting and drawing these features with reference on how this drawing of Iraqi personality has been affected in what a civilized developed progress has achieved, that Iraq has witnessed during the sixth and seventh decades in the previous century, which unfortunately what has been fixed by building is destroyed and even the main foundation original of building has been affected because of the war during eighth decade within the same century. Then the core and essence of the aim and its purpose has been discussed, which is identifying in general the concept of faith and self-confidence, and the effect of correct and perfect education, upbringing, and the factors that the girl acquire and implanting it in her social nature to building her moderate, balanced, and powerful personality. Finally, conclusions and recommendations of correct and perfect upbringing that are achieved morally and materially, and totally by family care. Also, to courage the role of the woman in building in different domains in life.

مقدمـة

الشخصية الإنسانية هي المجموعة المنظمة من الأفكار والسجايا والميول والعادات التي يتميَّز بها شخص ما عن غيره ، والشخصية هي تكوين حركي ومحاولة مستمرة في سبيل التوفيق بين رغبات الإنسان الطبيعية وقواعد المجتمع المفروضة عليه (١ / ١٢) ، وللشخصية خصائصها التي ترسم ملامحها ، وهناك عوامل كثيرة

تتدخل في بناء الشخصية الإنسانية البعض منها بيولوجية والبعض الآخر بيئية ، ولكل فرد شخصيته الخاصة به ، اكتسبها خلال عمليات التنشئة الاجتماعية والمشاركة في حياة الجماعة ، والتعلم عن طريق الاتصال الاجتماعي ، وشخصية المرأة كفرد في المجتمع لا تختلف بشيء عن شخصية الرجل في بنائها فيما عدى صفة الجنوسة ومتطلباتها المنعكسة من نتاج مكوناتها الوراثية البيولوجية ونتاج عوامل البيئة الاجتماعية التي صاغتها ، مما تترك آثارها وبصماتها على المجتمع والبناء الاجتماعي الذي تعيش فيه ، ولا يمكن أن تكون شخصية الفتاة ناضجة ومتكاملة وفاعلة ومتفاعلة في مجتمعها الذي تعيش فيه ما لم تكن متطبعة بالقيم والتقاليد الإيجابية ، ومكتسبة خبرات ومهارات أداء الأعباء الاجتماعية الوظيفية الملقاة على عاتقها ، وتتحلى بالسمات والعادات الإيجابية التي تمكنها من التفاعل الحي مع الآخرين ، هذه السمات هي سر نجاحها وتكيُّفها واستقرارها في المجتمع الذي تعيش فيه ، ولعل من أهم السمات الإيجابية التي تتمتع بها شخصية الفتاة العراقية هي سمة الإيمان بالله وبمبادئ وأهداف مجتمعها وقدراته وإمكاناته وطموحاته لمستقبل مشرق يرسم له التطور والتقدم ، وإيمانها بقدراتها هي على أداء أدوارها في المجتمع وإبداعها كامرأة في وظيفتها الاجتماعية في مجالات الحياة كافة ، وتفاعلها وتعاونها مع الآخرين من أجل تحقيق أهداف المجتمع ، لكن سمة الإيمان وحدها لا تكفي لتكامل وفاعلية شخصية الفتاة ما لم تؤازرها صفة الثقة العالية بالنفس ، والقدرة على اتخاذ القرار الشجاع المستقل ، فذلك هو الذي سيمكنها من القيام بالأعباء والمسؤوليات المطلوبة منها ، والتخطيط لِما ستسير علية في الوصول لأهدافها التي خططت لتحقيقها ، سواء ضمن نشاط الجماعة التي تنتمي لها أو أهدافها الذاتية(٣ / ٩٧).

المبحث الأول : منهجية البحث

مشكلة البحث

تخضع الفتاة العراقية في تربيتها وتنشئتها من قبل مؤسسات التنشئة الاجتماعية وبخاصة الأسرة ، إلى ثقافات تربوية تنشيئية مبنية على قيم البعض منها سلبية وخاطئة ومتخلفة ، مستمدة من إرث حضاري قد لا يساير الثقافة العصرية ، فتكبر الفتاة ضعيفة الإرادة منكمشة الشخصية مترددة في قراراتها ، أو قد تتعلم قيم سلبية خاطئة تحرفها عن السلوك السليم ، فتواجه الفتاة الكثير من المشاكل في حياتها اليومية تسبب لها جانباً من المعاناة في أداء أدوارها خارج المنزل ، وهذه المشاكل قد تجعلها تؤدي تلك الأدوار ليس على الوجه الأكمل جراء القيود على حريتها في العمل لمجرد كونها أنثى ، ذلك بسبب النظرة الاجتماعية المتخلفة عن قدرة المرأة على العمل وعن خروجها للعمل ، فالقيم الأسرية والاجتماعية التي تضبط حياة وسلوك المرأة في مجتمعنا البعض منها متخلفة تحدُّ من قدرة الفتاة الشابة من خلال القيود التي تكبلها بها

كونها أنثى عند أداء أدوارها المهنية في المجتمع ، فانعكس ذلك سلباً على شخصيتها وحتى على مساواتها بالرجل من ناحية الحقوق في بعض الأنشطة خاصة المهنية ، فنحن والظاهرة هذه يصبح من الواجب المفروض علينا هو إعادة النظر في الثقافة التربوية التنشيئية التي تتلقاها الفتاة العراقية في كل مؤسسات التنشئة الاجتماعية بما يبني ويرسخ إيمانها بقدراتها وقدرات الآخرين في المجتمع ويعزز ثقتها بنفسها .

أهداف البحث

١ . يهدف البحث إلى التوعية والتثقيف بمغادرة الأساليب والممارسات الخاطئة في الثقافة التربوية التنشيئية التي تمارسها الأسرة والمجتمع في تنشئة الفتاة في مجتمعنا العراقي .

٢. كما يهدف البحث لأن يطرح بين يدي الفتاة العراقية ويدي أسرتها المنشئ لها ، جميع العوامل التي أسهمت في بناء شخصيتها بناءً علمياً سليماً ، مستنداً على هديّ ثقافة المجتمع وأحكام الإسلام الشرعية .

٣. ومن أهداف البحث تبصير الفتاة العراقية بالطرق والوسائل السليمة التي تمكنها من تجاوز المشاكل التي تواجهها خلال أداء دورها بالبيت وبالمجتمع شريكة لأخيها الرجل دون معاناة .

٤. ويهدف البحث إلى تحليل فكر الإيمان وسمة الثقة بالنفس تحليلاً تطبيقياً مبسطاً يسهِّلُ على كل فتاة عراقية فهمها وإدراكها لكي تطبقها في حياتها اليومية وفي عملها بما يحقق الأهداف التي تصبو إليها ويحقق حاجة المجتمع لدورها المهني .

أهمية البحث

١ . يعتبر البحث موضوعاً مكملاً للمادة المعرفية بهذا المضمون في المكتبة العراقية من خلال مادته النظرية وتحليلاته التي وضحَّت علاج مشكلته .

٢ . يساهم البحث كدراسة نظرية تحليلية لشخصية الفتاة العراقية ، وكيف تضع الإيمان والثقة بالنفس مرتكزاً لتطوير دورها الوظيفي والمهني وتقدمها الفكري في المجتمع .

٣ . تعدُّ نتائج هذا البحث مدخلاً للحوار والمناقشة في تغيير الانطباع السائد في المجتمع العراقي عن ضعف الفتاة وتدني قدراتها مقارنة بالرجل ، وتعدُّ استنتاجاته وتوصياته كقاعدة من قواعد ذلك النقاش والحوار .

٤ . يعتبر البحث بدرجة من الأهمية في التوعية والإرشاد والتثقيف للفتاة العراقية تتعكز عليها في بناء شخصيتها بناءً علمياً سليماً يؤهل تلك الشخصية في خوض مضمار الحياة بنجاح جهد الإمكان .

المفاهيم والمصطلحات

١ . الشخصية الإنسانية : هي المجموعة المنظمة من الأفكار والسجايا والميول والعادات التي يتميز بها شخص ما عن غيره ، والشخصية هي تكوين حركي ومحاولة مستمرة في سبيل التوفيق بين رغبات الإنسان الطبيعية وقواعد المجتمع المفروضة عليه (١ / ١٢) .

٢ . الإيمان : يعني العقيدة الثابتة والراسخة عند الفرد إزاء القضايا والأمور والحالات والأشياء المادية والمعنوية والوجدانية المحيطة به (٣ /٩٨) .

٣ . الثقة بالنفس : هي قيمة اجتماعية إيجابية تعبر عن مكوناتها في الاعتماد على الذات عند اتخاذ القرار الذي يحدد مسارات الفرد السلوكية والتفاعلية ويوجه أنشطته الخاصة والعامة وينظم مجريات حياته المادية والروحية (٣ / ٩٩)

حدود البحث

يغطي البحث بدراسة نظرية طبيعة تربية وتنشئة الفتاة العراقية ونمط حياتها اليومية ضمن نطاق المجتمع العراقي وللحقبة الزمنية في النصف الثاني من القرن الماضي ، مستنداً على المصادر التي تغطي هذا الموضوع وعلى انطباعات الباحث الذي عاصر هذه الفترة في مجتمع الريف والحضر .

المبحث الثاني : الشخصية الإنسانية

١ . ما هي الشخصية ؟

لغوياً انحدرت كلمة الشخصية Personnalite من الكلمة اللاتينية Persona ومعناها القناع الذي يستعمل على خشبة المسرح ، فالشخصية ينظر إليها من ناحية ما يعطيه قناع الممثل من انطباعات ، أو من ناحية كونها غطاء يختفي خلفه الشخص الحقيقي (٤ / ١٣) ، أما اصطلاحياً فعُرِّفت الشخصية بأنها "التكامل المميز للبنى الجسمية والنفسية والاجتماعية للفرد ، ونماذج سلوكه ومصالحه وقدراته وقابليته وإمكاناته الذاتية ، بحيث يكون ذلك الفرد مختلفاً عن الآخرين" ، وعُرِفت أيضاً هي " التجمع المنظم للحالات والعمليات النفسية المتعلقة بالفرد .... لنتون " (٥ / ٢٧٩ و٢٨٠) ، وتوصف الشخصية بأنها بنية نشيطة موحدة وكاملة تحقق وحدة نسبية وتواصلاً مع الزمن لمجموع الأجهزة التي تأخذ في الاعتبار خصوصيات كل فرد لطريقته في الشعور والتفكير والفعل ورد الفعل في المواقف الحياتية المحسوسة " (٦ /٦) ، ويصف التحليل النفسي الشخصية بأنها مكان نفسي داخلي يتكون ديناميكياً حسب تاريخ الفرد بممارسة بعض الوظائف الأساسية بالنسبة له (٤ / ١٣) ، ويرى البعض أن الشخصية ما هي إلّا التكامل النفسي الاجتماعي للسلوك عند الفرد الذي تُعبِّر عنه عادات الفعل والشعور والاتجاه والرأي ، ويكمن الجانب الاجتماعي العام

للشخصية في نموها في المواقف الاجتماعية والتعبير عن نفسها من خلال التفاعل مع الآخرين ، فتشتمل شخصية الفرد على ما هو مشترِك فيه مع الآخرين ، ولكنها تبقى تُلمِّح إلى ما يميزه عن غيره ، ولذلك فهي قد تعرَّف بأنها مجموعة قيم الشخص وموضوع كفاحه في الحياة ، كالمُثُلْ والنفوذ والقوة والجنس وسماته غير الفيزيائية وطرقه المعتادة بالفعل ورد الفعل ، والشخصية في كثير من الأحيان تتخذ طابع المرونة (٢ / ٣٤٨ ـ ٣٥١) ، إنَّ معرفتنا بشخصية الفرد وخبرتنا السابقة عنه قد تقودنا في التنبؤ بما سيكون عليه سلوكه في مواقف معينة .

هل الشخصية سمات أم حالات ؟ إن البعض يراها مجموعة سمات ثابتة ومستقرة وتتكرر ملاحظتها في عدة مواقف للفرد ، واختلف العلماء في تحديد مضمون السمة التي وصفوا بها الشخصية ، فالبعض قال السمة تدل على مضمون معين في البناء النفسي للإنسان ، بينما آخرون يرون إن السمة تصف تجمعاً معيناً من أنماط سلوك الإنسان ، وبناءً على ذلك يمكن القول أن هناك سمات موضوعية ظاهرة يختلف فيها الأفراد ، وهناك سمات لا يمكن ملاحظتها وهي الجزء الباطن من الشخصية الإنسانية ولكنها تظهر بصورة أو بأخرى عندما يسلك الفرد سلوكاً معيناً في موقف محدد ، وبالتالي يمكن القول إن السمات الشخصية هي خصائص عامة لها طابع اجتماعي انفعالي ، أما الذين يرون أن الشخصية مجموعة حالات ، فيركزون على الأوضاع ألتي تكون عليها الشخصية في المواقف والظروف التي تمر بها ، بحيث تكون هذه الحالات مؤقتة نسبياً وليس ثابتة ودائمة مع الفرد ، ويستشهدون بحالة الطالب إثناء الامتحان إذ يكون عرضةً للقلق لكنه يزول بعد انتهاء الامتحان(٧ / ١٣٨) .

. تتدخل في تكوين شخصية الإنسان عوامل كثيرة منها نشأته وبيئته التي تؤثر على غرائزه وانفعالاته وعواطفه ، ومنها مزاجه وعقليته ، ولما كانت ظروف الناس مختلفة واستعداداتهم الطبيعية متباينة كماً وقوةً وإن اتفقت كيفاً ونوعاً ، أصبح مؤكداً أن يكون للناس عدة شخصيات بتعدد هذه العوامل ، فقد يتميَز فرد بناحية تطبع أعماله وسلوكه بطابعٍ خاص ، يصبح ميزةً له تعرف فيه أو صفة يوصف بها ، في حين يتميز شخص آخر من ناحية ثانية فيوصف وصفاً آخراً ، وقد يتغلب عامل من العوامل أو نوع من أنواع الاستعدادات على الأنواع الأخرى ويطغى عليها ، بحيث إذا أردنا أن نصف صاحبه أو نصوره تحدثنا عن هذه الناحية وحدها ولم نذكر شيئاً عن النواحي الأخرى وكأن لا وجود لها ، فنصف شخصاً بصفاتٍ تدل على نوعٍ خاصٍ من العقليات ، أو نصوره بصورة تُظهر فيه الناحية الوجدانية ، أو نذكر بعضاً من سلوكه الذي يبين طبعه ومزاجه (٨ / ٦٠) .

إن جميع هذه الصفات والصوَر قاصرة عن أن تعطينا صورة كاملة صحيحة لنواحي الشخص جميعها ، فالكلام عن عقلية الإنسان يعطينا جزء من صورته العامة

، والكلام عن مزاجه يعطينا جزء آخر ، والكلام عن أخلاقه يعطينا جزء إضافي ، فلا يمكن أن يعطينا أيٌ كان الصورة العامة التي تمثل شخصية الفرد الحقيقية المتكاملة ، لأن هذه النواحي متداخلة مع بعضها وكل منها يؤثر ويتأثر في الآخر ، فشخصية الإنسان ليست مجرد عقليته أو مزاجه أو خلقه أو عواطفه أو ناحية خاصة من نواحي تكوينه أو ميزة بارزة يتميَز بها عن غيره من الناس ، وإنما هي وحدة مركبة من كل هذه النواحي وكنتيجةً لتداخلها وتفاعلها ، أو هي محصلةً لعدة قِوى وبقدر ما تكون عليه هذه القوى من قوةٍ أو ضعفٍ تكون الشخصية في مجموعها فعالة أو غير فعالة ، فإذا اتزنت هذه العوامل أنتجت شخصية متزنة معتدلة في معظم نواحيها ، وإذا انحرفت عن طريقها الطبيعي أنتجت شخصية منحرفة أو شاذة (٧ / ١٣٩) .

ثمة اعتقاد بأن لجنس الفرد بعداً مهماً في التفاعلات اليومية ، فالتفاعلات تشكَّل بفعل السياق الاجتماعي الأوسع ، فلا غرابة إن التواصل بأنواعه وأشكاله سيتم التعبير عنه بطرق مختلفة ومتميزة بين الذكور والإناث ، فقد يتأثر فهم جنس الفرد والأدوار الاجتماعية الخاصة بالذكور والإناث بعوامل اجتماعية ، فمثلاً في التواصل البصري يستخدم الأفراد لقاء العين بالعين بأكثر من أسلوب ، وهم يهدفون إلى اجتذاب الاهتمام ، أو إلى الشروع في تفاعل اجتماعي ، ففي المجتمعات البطريكية وفي مجالات الحياة العامة والخاصة ، يعطي الرجال الحرية لأنفسهم أكثر من النساء في التواصل عن طريق لقاء العين بالعين ، بينما يأخذ التحديق (الحملقة) أهمية خاصة ومعنىً متميزاً فيعتبر تحديق الرجل بالمرأة تصرفاً طبيعياً وبريئاً ، فإذا انزعجت منه فإنها تميل وجهها عنه ، أو تختزل فترة لقاء العين بالعين لتحاشي المزيد من الضيق ، في حين أن تحديق المرأة في الرجل على هذا النحو ، يعتبر في معايير هكذا مجتمعات إيحاءً جنسياً عاطفياً (٩ / ١٦٣و١٦٤).

مما ورد أعلاه يرى الباحث أن الشخصية هي سمات وعادات الشخص متكيِّفةً لتُرتَسم فيها ذاته الاجتماعية بمرآة الآخرين ، لأن فهم ومعرفة سمات الشخص لا يتم إلّا من خلال علاقته بالبناء الاجتماعي ككل ، والشخصية هي المفهوم الأكثر انطباعاً لفهم سلوك الفرد في جميع تفاصيله التي يمكن للعالم تقديمها في لحظة ما ، فهي تشير لأساليب سلوكية وإدراكية مرتبطة في تنظيم معين يجعل منها كلاً موحداً وان كان معقداً ، وهي حصيلة الصفات والمميزات الجسمية والعقلية والاجتماعية والمزاجية التي ترسمها التفاعلات الاجتماعية للشخص بما يميزه عن غيره تمييزاً واضحاً ، وتشمل دوافعه وعواطفه وميوله واهتماماته وآراءه ومعتقداته وذكاءه ومعلوماته وسماته الخلقية وعاداته الاجتماعية ومواهبه الخاصة وما يتخذه من أهدافٍ ومُثُلٍ وقيمٍ اجتماعيةٍ ، وبذلك فهي نظام متكامل ومتوازن من مجموعة الخصائص الجسمية والوجدانية النزوعية والإدراكية التي ترسم هوية الشخص وتميزه بخصوصيتها ، وإنَّ ما يهمنا من الأساليب السلوكية هو ما يتصل منها بالمواقف الاجتماعية على وجه

الخصوص ، وقد تتميَّز شخصية المرأة في مجتمعنا عن الرجل بخصائص سلوكية نسبية تنفرد فيها الثقافة العربية الإسلامية ، وهذه الميزة ربما حتى معيارها يتمايز من قطرٍ عربي إلى قطرٍ آخر ، وحتى من فرد لآخر ضمن المجتمع الواحد .

٢ . خصائص الشخصية

الشخصية ليست شيء يملكه أشخاص ولا يملكه آخرون ، فلا يصح القول أن فلاناً له شخصية وفلاناً لا شخصية له ، كما لا يصح الوصف أن هناك شخصية قوية وأخرى ضعيفة ، كما انه لا ينبغي أن يفهم الناس إن الشخصية تعني شيئاً حسناً وآخر سيئاً ، بل هي شيء يتميز بخصائص معينة حددت بما يأتي: (١٠ / ٢٩٨).

أ. تختلف الشخصية من شخص لآخر رغم تشابه الأشخاص في بعض نواحيها بحكم نشأتهم في ثقافة واحدة ، وتعبر عن الشكل الفريد الذي تنتظم فيه الاستعدادات الاجتماعية الديناميكية.

ب. تعبر الشخصية عن صفات الشخص الحالية الثابتة ، وإذا كان هناك شخص يتغير من يوم إلى يوم فهذا يعدّ من سمات شخصيته القائمة ، وبالتالي يمكن التنبؤ بسلوكه عن طريق هذه الصفات.

ت. تمثل الشخصية العلاقة الديناميكية بين الشخص وبيئته ، وهي بالتالي مكتسبة كنتاج للتفاعل الاجتماعي .

ث. تبدو الشخصية منظمة في أنماط يمكن إلى حد ما ملاحظتها وقياسها ، وتمثل الاتجاهات إحدى مظاهرها السطحية أما جوهرها فهو الأخلاق .

ح. لا تعني الشخصية السلوك الظاهري للفرد ، ولكنها استعداداً للسلوك في المواقف المختلفة ، يتكون مما يسمى بالعادات والقيم والعواطف والدوافع وغيرها.

خ. وفي شخصية المرأة يفسر علماء الاجتماع أوجه اختلافها عن الرجل في ثلاثة اتجاهات ، أحدهما يَعدُّ الخصائص البيولوجية أساساً لاختلاف السلوك بين الرجال والنساء وبالتالي تميُّز شخصية كلٌ منهما عن الآخر ، والاتجاه الآخر يولي أهمية مركزية لعملية التنشئة الاجتماعية وتعلُّم الأدوار ، فالأطفال يتعلمون من أبويهم ومن لعبهم الولد أدوار الذكر والبنت أدوار الأنثى ، أما الاتجاه الثالث فيعزي الأمر نتيجة للتصورات الاجتماعية (٩/ ١٨٦).

د. تتميز شخصية المرأة العربية المسلمة بظواهر سلوكية صقلتها التربية الإسلامية فيها منذ الطفولة تتجسد في تمسك واحترام أحكام الدين في مظهرها وفي علاقاتها وتفاعلها مع الرجل الغريب بما يرسم لها أطاراً لشخصية مهابة ومحترمة في المجتمع.

يضع بعض العلماء خصائص لشخصية المرأة ، يرى الباحث أن هذه الخصائص المتعلقة بالوظائف الجنسية الفسيولوجية للمرأة والتي تميِّز تكوينها البيولوجي الأنثوي لا يمكن اعتبارها خصائص خاصة بشخصية المرأة تتميَّز فيها امرأة عن أخرى ،

لطالما أن الشخصية سمات وعادات أي سلوك ، في حين هذه الخصائص جنسية بيولوجية تتميَّز فيها الأنثى عن الذكر ، فالوظيفة البيولوجية الفسيولوجية لا يمكن أن نضع لها تصنيفات لشخصية المرأة لأنها واحدة موحدة في كل نساء العالم ، ولهذا نجد أحياناً امرأة تمتلك شخصية أكثر استضاءة من شخصية الرجل .

٣ . عوامل الشخصية

كثيرة هي العوامل التي تؤثر في حياة الإنسان وتعمل على تكوين شخصيته ، منها ما هو بيولوجي كالغرائز والذكاء رغم إن بعض العلماء يرجعون الذكاء إلى البيئة وليس إلى البيولوجيا ، ومنها عوامل بيئية كالعواطف ويمكن أن ننسبها إلى سبعة أصول وهي ، العقل ، والوجدان ، والمزاج ، والخلق ، والبدن ، والمهنة ، والبيئة ، ونوجز توضيحها في الآتي (٧ / ١٤٠) :

العقل : إنَّ العمليات العقلية التي تساعد الإنسان على اكتساب الخبرة والمعلومات ، المتمثلة بعمليات الربط والتذكر والإدراك والتفكير والتخيل ، هي عبارة عن استعدادات البعض منها موروثة فطرياً والبعض الآخر مكتسبة بالتنشئة ، هذه العمليات تكون غير ناضجة عند الطفل الوليد لكنها تنمو وتنضج بالتدرج ، ولكي تنمو وتنضج هذه الاستعدادات بشكل منتج ومفيد فإنها تحتاج إلى التعلم والتعليم المنظم ، سواء لمتطلبات الحياة الاعتيادية أو لكسب العلم والمعرفة ، والتعليم وحده هو الذي يكشف هذه الاستعدادات ويوجهها الوجهة المفيدة ليظهر أثرها في تكوين شخصية الإنسان ، ولكن التعليم وحده لا يكفي إلا إذا اكتمل بالتثقيف ، فهناك علوم ليست لمؤسسات التعليم نصيب في تكوينها ، ولا يصل إليها الفرد إلّا بالتعلم من خلال الاطلاع الواسع والخبرة والاحتكاك بالناس ، فالعلوم التي يتعلمها الفرد في مؤسسات التعليم ما هي إلّا وسائل لتنظيم الفكر ومفتاح لباب الحياة ، وإذا ألمَّ الفرد بعلوم متفرقة دون أن يربطها مع بعضها وهو ما تقوم به مؤسسات التعليم ، فهو كمن يمتلك مخازن علم متفرقة لا ترتبط بعضها بالبعض ، وبالتالي سوف لن تنتظم الفائدة منها لأنه لم يشدُّ بعضها أزر البعض ويستفيد كل نوع من باقي الأنواع ، يقول الحكماء " العلم يمثل العمق في الدرس والتحصيل والثقافة تمثل سعة الإطلاع ".

الوجدان : يجب أن يتحكم الإنسان بانفعالاته وينظمها في عواطف ثم ينظم عواطفه حول عاطفة واحدة ليجعل استعداداته الوجدانية قوة واحدة فعالة ، وبغير هذا التنظيم لا يمكن أن يكون الإنسان ذا عاطفة قوية أو مبدأ ثابت أو خلق قويم ، فالعاطفة الواحدة قوة لا يُستهان بها وإذا تسلطت على العواطف الأخرى أخضعت الإنسان لسلطانها ، فالإنسان الذي يستبد به حبه لذاته تمتلكه رغبة التِماس الشهرة والوصول إلى المركز العالي ، فيسلك الطريق الذي يراه كفيلاً بإشباع شهوته ، ويتمسك بما يوصله لغايته منتهزاً ظروف الخير والشر ، مقدراً الأمور بقدر اتصالها بهذه الرغبة أياً كانت سلباً أو

إيجاباً ، وقد يظهر بمظهر الشخصية البارزة بحكم مركزه ، لكنه يبقى بعيد عن الشخصية القوية المحترمة ، أما إذا ارتبطت العواطف والتقت مع عاطفة اعتبار الذات ، فأن حياة الإنسان الوجدانية تسير في الطريق السوي نحو الكمال ، لأن عاطفة اعتبار الذات هي وحدها الضمان للوصول للخلق القويم والشخصية المحترمة اللامعة ، وكل عاطفة لا تتصل بها يَضِلُّ صاحبها الطريق ، وفي كثير من المواقف يتزاوج الضمير مع الوجدان في إصدار حكم القرار ، كما إن أغلب علماء النفس يعدُّون الضمير هو الذات الاجتماعية التي ترسم شخصية الإنسان .

المزاج : أما المزاج فلا حيلة للإنسان فيه ، مادام مصدره الغدد والجهاز العصبي والغرائز التي لا يستطيع الإنسان أن يتحكم فيها بسهولة ، وإنْ كان في استطاعة الإنسان الآن أن يعالج الغدد والأعصاب ، وأن يُعدِّل من سلوكه الغريزي بالإبدال والإعلاء ، وبشيء من الإرادة القوية وبالمرونة والصبر ورياضة النفس وتبديل وجهة النظر للحياة يستطيع أن يغير من مزاجه بعض الشيء فيقلل تشاؤمه وانقباضه إن لم يستطع أن يصبح متفائلاً .

الخُلق: إنَّ الإنسان لا يصل إلى الخُلق القويم والإرادة الكاملة التي هي عماد الشخصية القوية إلّا إذا جعل حياته الوجدانية كلها بعد تنظيمها تدور حول فكرة سامية أو مَثل عالي ينشده ، وبذلك سوف لا تتعارض رغباته وتتنافر أغراضه ولا يوَزَعْ النشاط الحيوي بينها فيضيع سدىً في هذا الصراع .

البدن: إنَّ سلامة أعضاء البدن لها الأثر الواضح في تكوين شخصية الإنسان وطبع سلوكه ونظرته للحياة ومعاملاته للناس ، فكم من العلماء والفلاسفة والقادة ثاروا على العالم والمجتمع ، وسخطوا على الزمان وتبرموا بالحياة لا لشيء إلا لكونهم ذوو عاهات بدنية وتكوين جسماني ناقص في ناحية من النواحي فكان سبباً في حرمانهم من متع الحياة التي كان يرتع فيها زملائهم من الأطفال والشبان ، بل إنَّ العلامة الصغيرة في البدن قد يكون لها اثر كبير في تَعلُّق الناس بصاحبها أو نفورهم منه ، وتكون سبباً في تكوين الشخصية المحبوبة أو المكروهة ، وتعكس نجاحه أو فشله في الحياة ، كما إن المظهر الخارجي واللباس لهما اثرٌ كبيرٌ في إظهار الشخصية وإخفاء عيوب الخِلقة.

المهنة: إن مهنة الإنسان تربطه بأشياء ومواقف ، وتكسبه نوعاً خاصاً من العقلية والمزاج وأسلوباً مميزاً من التصرفات ، فنلاحظ أحياناً شخصان ينشئان في مستوى واحد وباستعدادات متقاربة ، ثم يتخذان مهنتين متباينتين كالتجارة مثلاً وخدمة الدين فلا ينيا أن يكتسبا شخصيتين متناقضتين إحداهما حريصة مادية جشعة ، والأخرى سهلة ولينة وروحية ، وأحياناً حتى الشخص الواحد تتغير شخصيته في مهنة ما عنه لو اتخذ غيرها من أول الأمر ، وكثيراً ما يجعل الإنسان عمله الذي يقوم به محور حياته ، فيتحدث عنه وعمّا يجده فيه ويرفعه فوق سائر الأعمال أو يشكو منه فيراه

أسوأ الأعمال ، إن ذلك دفعَ لأن يكون لكل مهنة اتحاد أو رابطة أو نادي ولها مطبوع خاص بها ، وكل هذه عوامل تجسم الشعور بالمهنة وتساعد على تكوين الشخصية المهنية .

البيئة: إن البيئة هي المنبت الذي يقع فيه النبات الغض الطري ، فإذا كانت صلبةً قاسيةً حرفته عن اتجاه نموه ، وإذا كان لينةً طريةً اخذ مساره الطبيعي الصحيح ، فالبيئة لها أثرها المباشر على الإنسان منذ طفولته ، إذ يُجمع العلماء على أن ما يربو عن ٨٠% من عادات وطباع وسلوك الشخص هي مما اكتسبه في طفولته ، فالطفل إذا لم يُعامل من صغره معاملة هادئة طبيعية لينة تساعد مواهبه واستعداداته على النمو في طريقها الطبيعي تكونت فيه عند البلوغ شخصية غير متزنة ، ولا فلاح للشخص ولا اتزان للشخصية إلّا بعلاج هذه الصعوبات وإعادة تربية الغرائز والانفعالات من جديد حتى تزول العقد التي تكونت فأفسدت على الشباب نفسيته .

مما ورد ذكره يشخص الباحث إن كل شخصية مبالغ فيها لا يخضع طابعها لهذه العوامل ، أو كل ناحية في الإنسان تندفع بشدة وعنف غير مقيدة بحدودها ، ذلك دليل على عدم اتزان الشخصية ووجود صفة أخرى باطنية خفية تعارضها ، إن نفس الإنسان مسرحاً لنزعات متصارعة لا تجعله يتذوق طعم الهدوء والاتزان ، فالشخص المغرور المتعاظِم تكون شخصيته غير متزنة ، بل هو في الواقع يشعر شعوراً تاماً بما فيه من نقص فيحاول أن يخفيه بإظهار نقيضه ، إن الشعور بالنقص ينشأ عن عدة أسباب ، منها السخرية وتسخيف الرأي من المحيطين بالفرد ، وكثرة النقد لعيوب الشاب وبالذات من الأبوين ، والأخذ بالشدة في كل تقصير ، وعدم الاستحسان للنقاط الطيبة والثواب على العمل النافع ، فيفقد الشاب الذي يعامل هذه المعاملة الثقة بنفسه واحترامه لها ، ويبتعد بالتدريج عن الناس ويقيم بينه وبينهم سداً ، ويصبح ذا شخصية منكمشة منقبضة .

٤ . مراحل بناء الشخصية

يبدأ بناء الشخصية عند الفرد منذ الطفولة المبكرة ، فالطفل قبلها يندرج سلوكه تحت نظام فطرته وغرائزه فلا يتحكم به عقله لعدم امتلاكه للإدراك بعد ، ويتجسد ذلك بسعيه لإسعاد ذاته ونفوره عما يزعجها دون إي اعتبار للبيئة التي حوله ، فتراه يتصرف تصرفاً حيوانياً بحتاً ، يقول فؤاد البهي السيد " الطفل في بداية حياته أنانياً ، علاقته بالمجتمع ذاتية بحتة ، فهو يرضى عن بيئته عندما تحقق له لذة ما ، ويعصف به الغضب حينما تحول هذه البيئة بنظمها وتقاليدها وشرائعها بينه وبين ما يريد "، بعد عامه الثاني يبدأ إدراكه الفطري يتعامل مع المؤثرات الحسية وينتج عن ذلك إدراكاً عقلياً ، فيصبح يميز بين المرغوب والمرفوض من خلال الأوامر والنواهي والعقاب والثواب التي ينالها من بيئته القريبة متمثلة بأسرته ووالديه ، وبعدما يكتشف ويميز ذاته

عن بيئته تبدأ علاقاته الاجتماعية تأخذ طابعاً حميمياً مع والدته ، وتبدأ بالظهور بعض الملامح لشخصيته كإنسان (١١ / ٢١٥ ـ ٢١٧) ، ويطلق بعض العلماء على هذه العملية " أنسنة الآدمي" (١٢ / ١٧) وهي المرحلة التي تكتمل بها الذات الاجتماعية للفرد ويتحول إلى إنسان ، وبتعبير آخر إنها مرحلة يتعلم فيها الطفل معظم رموز التفاعلات الاجتماعية ، ويكتسب العادات الاجتماعية السائدة في مجتمعه ، كل ذلك يؤثر في سلوكه وإطار تفكيره في المستقبل ، إذ تمثل المؤثرات غير المباشرة على حياته الاجتماعية المستقبلية ومواقفه وميوله وعواطفه وطريقة تفكيره وأبعاد خياله وسواها(١٣ / ١٢٢).

تعدُّ هذه المرحلة من أدق مراحل التنشئة ، ويكون للأم دور مؤثر في رسم شخصية طفلها إذ يتأثر بشخصيتها ثم بباقي أفراد الأسرة ، ويرى العلماء إن المدرسة والأقران ربما تتوازيان بالتأثير أو تتقدم إحداهما على الأخرى بقليل في بلورة صورة شخصية الطفل بوضوح ، فكلاهما تعلمه أدواره في المجتمع ولم يبقَ في الأمر إلّا ممارسة الدور ليتأهل فيه كانسان للمرحلة اللاحقة ، يقول معن خليل العمر " إن من وسائل إنماء الشخصية هو ممارسة الدور والتحول إلى فاعل اجتماعي مالكاً القدرة على اتخاذ القرارات التي تعكس ضوابط النظام الداخلي للتنظيم المنتمي إليه " ، ولهذا نرى إن الأطفال المدللون الذين يحيطهم آباؤهم بكل صنوف الرعاية ، ويباعدون بينهم وبين الخطر ناسين إن الحياة كلها مخاطر ، بل هي أكثر التجارب خطراً عندما ينشأون ضعاف الشخصية ، وخير تربية للطفل أن نجعله يتغلب على الصعاب لا أن نزيلها من طريقه ، وقد ينقلب الشعور بالنقص إلى محاولة للظهور عن طريق السرقة والأجرام وأعمال العنف والاعتداء ، إن البيت الذي تسوده السكينة والاستقرار سيكون من أهم العوامل لتكوين الشخصيات المتزنة من الصغار فيه ، أما البيت المضطرب الهائج فسيكون اضطرابه وهياجه من أول عوامل الشذوذ ومعول هدم لشخصية من يتربى فيه ، ولهذا نلاحظ إن أولاد فاقدي الأب أو الأبوين في الغالب يكون سلوكهم شاذاً ومنحرفاً بعض الشيء ، منذ الطفولة تنفرد الأنثى بسلوكيات ثقافية أنثوية تستدمجها من أمها لترسم بها شخصيتها المميزة كأنثى عن الذكر (١٤ / ٦٢) .

٥ . أبرز ملامح الشخصية العراقية

يواجه الباحث في تحريه لشخصية الفرد العراقي صعوبات تتجسد معظمها في اكتشاف خصائص ومميزات في الفرد العراقي ، تجعلك تشعر أنها تشكل نمطاً من الشخصية له إطاراً خاصاً يتميَّز عما سواه من المجتمعات الأخرى ، ولكن ذلك لا يعني إن الفرد العراقي ضمن مجتمعه يأخذ كل مميزاته الشخصية من المجتمع ، فهناك أعماق لكل شخصية تعدُّ جزءً دفيناً لا يمكن أن يخضع لقواعد المجتمع أو يستجيب لإيحائه ، إن هذا الجزء هو السبب الذي جعل كل فرد في مجتمعه يختلف نسبياً عن

غيره في تكوين شخصيته رغم نشأته في نفس المجتمع ، ولهذا أطلق بعض الباحثين على الشخصية سمة " الخصومية / Peculiarity" أو الصفة التي لا يشترك فيها مع أحد (١ / ٤٣) .

وفي دراستنا للشخصية العراقية نرى أنه من الأصح أن نشخص عيوبنا لكي نُصلِحُها بدلاً من الترنم بحسناتنا ولا يفيدنا ذلك بشيء غير الغرور المذموم ، فلو استثنينا الحالة اللا معيارية التي يوصف فيها سلوك الفرد العراقي الآن ، نتيجة الظروف الطارئة الحالية ، والتي هي ليست مقياساً ولا تؤخذ بنظر الاعتبار لكونها زائلة حتماً ، سنجد أن من الخصائص التي انفردت بها الشخصية العراقية وأشار لها أغلب ممن كتبوا فيها ، هي ازدواج الشخصية وسنتطرق تفصيلاً لظواهر وأسباب هذا الازدواج في الآتي :

ظاهرة ازدواج الشخصية : يظهر الازدواج في شخصية الفرد العراقي وبشكل مركز ومتغلغل في أعماق النفوس ، فتجد الفرد هيّاماً بالمُثُل العليا ويدعو أليها في كتاباته وخطاباته ، ولكنه بنفس الوقت أكثر الناس انحرافاً عن هذه المُثُل في واقع حياته ، وقد يلتهب العراقي حماسة إذا انتقد غيره فيما يخص المبادئ السامية أو رعاية العدل والعفو والرحمة ، ولكن تراه من أسرع الناس إلى الاعتداء على غيره عندما يرى الظروف مناسبة ، وحتى مع أسرته تراه يتصرف ويتعامل معها بشخصية ، ويصطنع مع غيرها شخصية ، تظهره بهندامٍ كالطاووس ، وكرماً كحاتم الطائي ، وشجاعةً وباساً كعنترة ، إنَّ أسباب هذا الازدواج كثيرة ومتشعبة ولكن يمكن حصرها بثلاثة جوانب هي ، جانب حضاري ، وجانب اجتماعي ، وجانب نفسي (١ /٤٦) بتصرف .

ففي الجانب الحضاري ، إنه لمن دواعي المصادفات أن تتلاقى على هذه البقعة من الأرض ـ جغرافية العراق الحديث السياسية ـ ثقافة البداوة والمدنية معاً ولعصور خلت ، فقد كان العراق مهداً لمدنية تعتبر من أقدم المدنيات البشرية التي أنتجت أولى الحضارات التي شيَّدها الإنسان ، ومن الجانب الآخر أن العراق يقع على حافة صحراء ليست كغيرها على وجه الأرض ، تتميَّز بالجفاف القاسي ، بعدما تحولت من الفردوس الأخضر الذي يعج بالبدو بعد العصر الجليدي الرابع إلى صحراء الربع الخالي ، تمد الأمصار المجاورة بهم بأمواج متتالية بين حين وآخر ، هذه الهجرات المتلاقية مع السكان الأصليين ، لا يمكن أن تنتهي دون صراع خلق غالب ومغلوب ، فالغالب طبقة حاكمة والمغلوب طبقة محكومة ، وديدن الصراع لا ينتهي في مجتمع الطبقات ، فأنتج ذلك نظامين من القيم ، قيم الشجاعة والإباء والفوقية ، وقيم الخضوع والتباكي والدونية ، هذه الصورة التي يقتدي بها الأجيال أجبرت الفرد العراقي أن يقتدي بنوعين من القيم الاجتماعية ، فهو تارة يتظاهر بخصال البدوي الغالب ، وتارة أخرى يندب حظه يشتكي إلى الناس لأنه المزارع المغلوب ، ورغم أن المجتمع

العراقي مرَّ بعصور ذهبية من الفكر والفلسفة والمنطق والعلوم من انبثاق رسالة الإسلام إلى نهاية الحكم العباسي تقريباً ، ولكن كل ذلك لم يغيِّر من طراز حياة الفرد شيئاً ، فبقيَّ متقمصاً شخصيتين أو ذاتَين مختلفتين ، ذات يفكر بها وذات أخرى يعمل بها والبونُ شاسعٌ بينهما ، ثم في حقبة نهاية حكم الدولة العثمانية وما اعتراها من ضعف وخواء ، أرتفع نفوذ وسلطة العشائر ، فأدى ذلك إلى انتشار القيم البدوية في المجتمع بشكل واسع ، فأصبح الفرد العراقي شديد التمجيد بالقوة وكثير التباهي بها ، متعصباً لمدينته ومحلته كما يتعصب البدوي لقبيلته في الصحراء ، فأضاف انتشار هذه القيم عنصراً جديداً لازدواج الشخصية العراقية ، فأصبح الفرد في المدينة يستجيب للمُثُل الدينية وطقوسها في التعبُّد والوقار والفضيلة نهاراً ، ويعيش سلوك اللصوص ويمارس عملهم في الليل ، وربما هذه هي الصورة السائدة حتى منتصف القرن العشرين (١ / ٤٨ ـ ٥٦) بتصرف .

أما في الجانب الاجتماعي ، فمن المسلَّم به إن أهم مؤسسة في بناء الشخصية الإنسانية هي الأسرة ، فهي البودقة التي تنصهر فيها شخصية الفرد وتصبُهُ في قوالبها النهائية ، وعند تحليل طبيعة تركيبة الأسرة العراقية حتى الربع الأخير من القرن العشرين ستجدها مجزئة بين الرجل والمرأة والأطفال ، ولوجدنا أن كل واحد من هؤلاء الثلاثة أخذ مجالاً من الحياة يختلف عن الآخر ، فالمرأة مجالها البيت ، والرجل مجاله العمل خارج البيت وثم المقهى ، والأطفال مجالهم اللعب مع أقرانهم في مكان ضمن الحي أو في الزقاق ، إن حَجْر المرأة في البيت وتحجبها إذا خرجت أي عزلها عن الرجل بالغالب وهي الحال السائدة حتى الخمسينات ، ربما كان سببا في الانحراف الجنسي ، والمنحرف جنسياً يزداد فيه داء ازدواج الشخصية ، كما يفسر ذلك على الوردي ، أما الطرف الثالث وهو الطفل فقد وجد مجالاً رحباً في الأزقة والساحات الخالية ضمن المحلة والحي يؤلف فيها مع أقرانه وأولاد جيرته تكتلات تشبه العصابات فتسود بينهم قيم تدور حول القوة وحول استعمالها في كل سبيل ، وهؤلاء الأطفال حيث لا يشرف عليهم كبار تنمو فيهم قيم التفاخر بالقوة والتباهي بها ، وحب السيطرة وشدة العصبية المحلية ، إنَّ مدار التباهي بين الأطفال يعبر عنه بكلمتي " القوي والضعيف " فكل طفل يحاول أن تشتهر شخصيته بصفة القوة ، ويبعد عن نفسه شبهة الضعف ، فهو يحاول أن يظهر بطولته بالاعتداء على غيره ممن هم أضعف منه بدناً أو أقل أعواناً ، إنَّ هذه النزعة المحلية في الطفل العراقي سرعان ما تختفي في الكِبر تحت ستار من الوقار المصطنع ، فضلاً عن إنَّ الآباء أنفسهم يعوِّدون أطفالهم للتظاهر بالوقار والرزانة أمام الغرباء الكبار ، وبذلك تنشأ في أطفالهم شخصيتان هما ، شخصية المحلة والحي التي تؤمن بالقوة ، وشخصية الظهور أمام الناس التي تصطنع الوقار والمسالمة (١ /٥٦ ـ ٦٢) بتصرف.

أما في الجانب النفسي ، في الدراسات السلوكية يتداخل العامل النفسي والاجتماعي ، يسرد الدكتور علي الوردي سمةً من السمات الشخصية لبعض النفسيات من البشر فيقول " كثيراً من الشقاء الذي ينهش في نفوس البعض نشأته أنهم رسموا لأنفسهم مستوىً شاهقاً رفيعاً إذا ارتقى أحدهم لمنصب ما ، فلا يزال يرى نفسه أنه في مركز أقل بكثير مما هو جدير به ، وكلما غمرته نعمة شعر بأنه أحق بما يفوقها بدرجات ، إنه لا يستطيع أن يتذوق طعماً للسعادة والرضا ، بل إنه يشعُّ شقاءً على غيره وينشر البؤس والتعاسة بينهم بانتقاده المستمر لسلوكهم وتصرفاتهم مهما كانوا على خُلقٍ كريم ، وقد يصبح هذا الشخص عُصابياً دائم السخط على المجتمع لا يجد فيه الفضيلة التي يهواها ويعشقها ويعبدها دون أن يمارسها في الغالب ، نافراً الناس لأنه يشعر بأنهم أقل منه شأناً بكثير وأحطُّ من أن يمتزج بهم ، أنانياً يعمل على أن يحقق رغباته الخاصة إذ يراها أرفع الرغبات وأسماها وأجدرها بالتحقيق دون سواها ، ويرى نفسه في ذاته المُثلى أعلم وأفضل وأرقى من في الوجود ، بينما هو قد يكون في ذاته الواقعية أجهل وأرذل وأحط من في الوجود " (١ /٦٣ و٦٤) ، هذه السمات أسندها المحللون النفسيون بأنها امتداد لنوع المعاملة التي عاملهم بها آباؤهم وهم أطفالاً صغاراً فبعض الآباء يطلبون من طفلهم الصغير الكمال في كل شيء في عمله وفي سلوكه وفي كلامه ويحاسبونه على كل هفوة تصدر عنه حساباً عسيراً ، إذ ينظرون إليه كما لو كان راشداً متفهماً مكتمل العقل ناضج القوى .

نعم يمكن القول أن هذه التنشئة كانت قائمة في المجتمع العراقي إلى منتصف القرن العشرين ، ولكن بعد ذلك شهد المجتمع ثورة نهوض تنموي حضاري لثلاثة عقود تقريباً ناله نصيب من التطور والتقدم والانتقال والحراك الاجتماعي ، فبعد أن كان نمط الأسرة الكبيرة الممتدة الذي يُلزِم الأبناء الذكور أن يرتبطوا بأبيهم سكناً واقتصاداً وتفاعلاً لإنجاز أعمالهم في حياتهم اليومية وما يفرضه ذلك من الطاعة العمياء لأوامره ونواهيه حتى وفاته ، تحولت الحالة اختياراً إلى حريتهم بالاستقلال في نمط الأسرة النواة الصغيرة ، وما يمنحهم ذلك النمط من الاستقلال والحريات في القرار والعمل ، هذه التغيرات بطبيعتها قلصت الزعامة الأبوية التقليدية التي كانت تسيطر على جميع أفراد الأسرة الممتدة بثلاثة أجيال أحياناً ـ الجد والأبناء والأحفاد ـ ، فقد انكمشت الزعامة هذه وأصبحت محصورة في دائرة الأسرة النواة ـ الأب والزوجة والأطفال ـ ، كما إن اطراد تحسن ثقافة المرأة العراقية ، واقتراب مستواها الثقافي والاقتصادي من مستوى الرجل ، عزز مكانتها في الأسرة وزعزع مكانة الرجل الذي كانت زعامته أمراً مسلَّماً به ، فامتلكت الفتاة نصيباً مناسباً من الاستقلالية في رسم شخصيتها (١٥/٣٢٣ـ ٣٢٤)

مما ورد أعلاه يرى الباحث أن تراكم الماضي السحيق بطول وعرض آثاره النفسية على كلا الجنسين بنات وبنين ، لا يمكن أن يتغيّر جذرياً بنهضة ثلاثة أو أربعة

عقود ، وخاصة إذا أعقبتها كبوة قاسية هي الحرب ، فما استقام قد تعرض لآثار ربما حرفته عن المسار الذي خطط له ، إن شخصية الشاب / الشابة العراقي في نهاية القرن العشرين لن تتبرأ من الازدواجية ، لكن الأسباب قد تغيرت ، فانفجر ذلك الكبت إلى انفلات غير طبيعي ، وهو الناتج الطبيعي لظروف الحرب وانعكاساتها ، سببها فقدان الأب وتعدد الرعاية وتنوعها وضعفها ، والطفل يَعدُّ كل الكبار هم سبب الحرب ، فنمت في كبره نفسية الشخصية العدوانية الثأرية عندما يتحقق له الظرف ، ويبقى بالشخصية المتمسكنة المنكسرة النفسية الذي صاحبها يستحق العطف عندما تحكمه القوة ، ولذلك كانت تربية الفتاة العراقية أسيرة القيود الاجتماعية الناتجة من المشكلات الاجتماعية المزمنة وليدة الحروب ، ومن الإرث الحضاري السلبي ، لا تؤمن بقدراتها وغير واثقة من نفسها في أداء أدوارها المهنية .

المبحث الثالث : تربية الإيمان والثقة بالنفس وشخصية الفتاة العراقية

١ . مفهوم الإيمان والثقة بالنفس :

يمكن أن يُعدُّ الإيمان والثقة بالنفس من القيم الاجتماعية الإيجابية التي يتمسك بها الأفراد والجماعات ، وذلك من السمات المتميزة في الشخصية المتكاملة والمؤثرة ، وهما بهذا تؤديان الدور الكبير في تحديد ممارسات الفرد ورسم أطر علاقاته الإنسانية وتوجيه مساراته اليومية نحو الأهداف والطموحات الذاتية والمجتمعية التي يصبو إليها ، وعندما يمتلك الفرد مثل هذه القيم الإيجابية فإنها تقود إلى أتزان شخصيته ونجاحها في تحقيق كل ما تريده وما تخطط له في الحاضر وفي المستقبل .

الإيمان : سمة إيجابية في الشخصية وهي تعني العقيدة الثابتة والراسخة عند الفرد إزاء القضايا والأمور والحالات والأشياء المادية والمعنوية والوجدانية المحيطة به ، والإيمان الثابت والراسخ عند الفرد ينطوي على وحدة المبادئ والسلوك ووحدة الوسيلة والهدف ووحدة الظاهر والباطن ، ويتجلى بالجرأة والشجاعة والتصميم والتضحية من أجل الآخرين ، فلا يقف إيمان الفرد عند حد الذات بل يتجاوز ذلك إلى الجماعة والمجتمع والوطن والأمة ، والفرد المتصف بالإيمان لا يؤمن فقط بقدراته وطاقاته الذاتية ولا بقوة وفاعلية شخصيته ولا في دور عقيدته في تماسك شخصيته وتكاملها ، إنما إيمانه الأول بالله سبحانه وتعالى وتسييره لكل شيء في الكون وهديه لعباده الصالحين إلى الطريق المستقيم ، ومن ثم إيمانه بقدرات أمته ومجتمعه التي أنعم بها الله عليهم وهداهم في طريق الصواب وشدَّ أزرهم في التقدم والبناء الحضاري ، فالإيمان ينبعث من عمق المبادئ وترسيخ العقائد وثبات الرؤيا والهدف ويؤثر في طبيعة شخصية الفرد ودرجة تكاملها وصوَر تكيُّفها مع المحيط وقدرتها على تحقيق أهدافها القريبة والبعيدة ، وعندما تترسخ قيمة الإيمان عند الفرد وتصبح جزءاً لا يتجزأ

من شخصيته فإنها سرعان ما تتحول إلى سمة سلوكية ثابتة تطبع الشخصية وتمنحها صفاتها الثابتة (٣ / ٩٨و٩٩) .

الثقة بالنفس : بدءاً لنتعرف على النفس ! النفس هي الذات التي تُبنى بناءاً بعد اتحاد الروح بالمخلوق ، وما أن يظهر المخلوق في الحياة الدنيا حتى تظهر لنا واضحة مراحل عملية البناء هذه ، فيبدأ المجال النفسي يطلق طاقة خاصة فاعلية ونمائية أسموها " الدافعيات " فتكوِّن أول دافعية (الهو) وهي الذات الطبيعية والبدنية ومعناها الوصف السلوكي للعضوية الحية وتجري عليها أحكام الطبيعة البدنية ، ثم بتطور عمر المخلوق تظهر دافعية (الأنا) ومعناها الوصف السلوكي للكائن البشري وهو ما يحدث من سلوك بحكم العقل ، فـ (الأنا) تقوم بتشذيب سلوكيات (الهو) الحيوانية وتَحمِل العقل على تعلم سلوكيات بشرية ، وعندما يبلغ الطفل الإدراك ـ اكتمال نضوج خلايا العقل ـ ، تستلم زمام الأمور دافعية (الأنا الأعلى) وهذه هي الذات الاجتماعية / الأدبية / الأخلاقية أو النفس والتي يقاضي كل قرارات سلوكها حكم الضمير(١٦ / ٣٨ ـ ٣٩) بتصرف .

أما الثقة بالنفس ، إن سمة الثقة بالنفس يبدأ نموها عند الطفل من السنة الثانية من عمره ، ولكن من الصعوبة على أم الطفل الواحد تمييز ذلك ، في حين أم التوأم تميِّز بين شخصيتي طفليها أحدهما عن الآخر بكل وضوح من السنة الثانية (١٧ / ١٩٣) ، والثقة بالنفس قيمـــــــــة اجتماعية إيجابية ، تعبر عن مكوناتها في الاعتماد على الذات عند اتخاذ القرار الذي يحدد مسارات الفرد السلوكية والتفاعلية ، ويوجه أنشطته الخاصة والعامة وينظم مجريات حياته المادية والروحية ، وقيمة الثقة بالنفس هي من أهم القيم الاجتماعية التي تقود الفرد والمجتمع إلى طريق النجاح ، مهما تكن طبيعة المخاطر والتحديات والملابسات التي تواجههما ، ذلك إن الشخص المؤمن بالله وبقدراته وقابلياته والمتحمس لبلوغ غاياته وطموحاته هو الشخص الذي يستطيع الظفر والنجاح في أعماله ، لاسيما إذا تعاوَن وتكاتَف مع غيره في تحقيق الهدف المنشود ، أما إذا فقد الثقة بالنفس وكان ضعيف الشخصية ومنهار القوى ولا يعرف كيفية التعاون مع الآخرين والتنسيق معهم في أداء المهام المطلوبة ، فإنه يكون عاجزاً عن تحقيق أبسط أهدافه ، وبعيداً عن طريق النجاح والسعادة والاستقرار ، إن قيمة الثقة بالنفس تُمكِّن الفرد من إحراز النجاح في مهامه وأعماله وبالتالي تحقيق الأهداف الذاتية والمجتمعية ، ذلك إن الثقة بالنفس تدفع الفرد إلى اتخاذ القرار المستقل ، وتمده بالقوة الذاتية التي تحفزه على المضي قدماً في تحقيق الأهداف المرسومة ، ناهيك عن أهميتها في الابتعاد عن التردد ومواجهة حالات الضعف والارتباك والانكسار المعنوي مواجهة شجاعة وحاسمة تقود إلى تطويقها وتصفية آثارها السلبية ، وأمور كهذه يتمخض عنها النجاح الأكيد والهادف الذي يقوي شخصية الفرد (٣ / ٩٩و١٠٠) .

من كل ما عرضناه عن الإيمان والثقة بالنفس ، يرى الباحث إنَّ الحياة الاجتماعية في اتساعها وتعدد وجوهها تطغى على حياة الإنسان الفردية والعضوية والنفسية ، فيا تُرى هل تحتجب حياتنا النفسية الداخلية وراء شخصيتنا الاصطلاحية التي صاغها المجتمع ؟ أم إن حياتنا النفسية تلك هي نتاج للحياة الاجتماعية لكونها خاضعة لرقابتها كما يشير التحليل النفسي ؟ أم إن المجتمع يتدخل تدخلاً قوياً وعميقاً حتى في الأمور النفسية الفردية كالذاكرة والإرادة ؟ الجواب هو ما يدركه الفرد كما قائد المايسترو من تناغم بين *النفس والشخصية والسلوك* فلا يمكن أن يتحقق لك ذلك التناغم وتسمع عزفاً عذباً ما لم تضبط معيار آلاتك الثلاثة هذه .

٢ . العوامل ألتي تعزز الإيمان والثقة بالنفس عند الفتاة العراقية

تتفاعل عوامل موضوعية وذاتية ونتاج تفاعلها هو النبع الذي ينمو عليه الإيمان والثقة بالنفس وتكون ثمرة ذلك الغرس هي الشخصية التي تتسم بها الفتاة في مجتمعنا العراقي الأصيل ، ولكن الغرس لن يكون متماثلاً عند الجميع ، فنلحظه بدرجات متفاوتة ، فهناك فتيات يتمسَّكن بشدة بهاتين القيمتين ، وأخريات يكون تمسكهنَّ ضعيفاً وغير مستقر ، ومرجع ذلك يعود إلى طبيعة ومفردات العوامل التي شاركت في زرع وبلورة هاتين القيمتين عند الفتاة ، والطريقة التي من خلالها تؤثر تلك العوامل بالفرد والجماعة ، وفيما يأتي إيجاز بأهم تلك العوامل : (٣ / ١٠١ ـ ١٠٣)

أ ـ التربية والتنشئة : تكون مؤسسات التنشئة الاجتماعية كافة مسؤولة عن زرع وبلورة قيمتي الإيمان والثقة بالنفس عند الفتاة ، عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية التي تعدُّ من أهم العمليات المسؤولة عن هذا الغرس ، وأهم هذه المؤسسات وفي مقدمتها هي الأسرة ، إن عملية التنشئة الناجحة والمؤثرة تُكسِب المتعلم كافة القيم والخبرة والتجربة المفيدة للفرد في حياته العملية ، لاسيما عندما تكون هذه القيم والخبرة والتجربة جزءاً لا يتجزءاً من شخصيته وإطاره السلوكي ، وتكون عملية التنشئة الاجتماعية ناجحة ومؤثرة في استدخال وبلورة قيمتي الإيمان والثقة بالنفس عند الفتيات إذا أخذت بعين الاعتبار النقاط الآتية:

أولاً ـ أن تكون الأسرة معتمدةً في عملية التنشئة على مبدأ الرعاية المكثفة والدقيقة والمبرمجة كي تكون قادرة على تمرير قيمها ومعاييرها وأخلاقياتها إلى الجيل الجديد بسرعة متناهية وكفاءة متميزة ، بعد تنقيته من السلوك الغير سليم والقيم السلبية .

ثانياً ـ أن تعتمد الأسرة في تنشئة بناتها أسلوب الثواب والعقاب ، والثواب هو الثناء والمدح والإطراء لتعزيز اكتساب القيم الإيجابية وتجسيد هذه القيم في سلوكهنَّ اليومي ، واستعمال العقاب اللفظي بالتأنيب والتوبيخ عند عدم التزامهن بهذه القيم وتهربهن من مسؤولياتها الأخلاقية والوجدانية .

ثالثاً ـ على الأسرة أن توازن بين اللين والشدة في تعليم بناتها القيم والسلوك الاجتماعي ، والممارسات الاجتماعية المطلوبة ، فلا الشدة ولا التساهل بل التوازن بينهما .

ب ـ الجماعات المرجعية أو المؤسسية : كالمدرسة والأقران ودور العبادة والإعلام والمجتمع المحلي ، هذه المؤسسات تعدُّ مؤسسات تربية وتنشئة وهي تتحمل مهمة التربية والتلقين وتمرير القيم والمهارات والخبرات التي تتناسب مع تخصصاتها وبرامجها وأغراضها ، وعلى عاتقها تقع مهمة زرع وبلورة القيم الإيجابية ومحاربة وتطويق القيم السلبية الضارة ، وأن يكون هدفها بجعل من فيها أفراداً ومنتسبين من كِلا الجنسين متسلحين بالمبادئ والقيم والتعاليم الإيجابية التي تحميهم من الانزلاق في مواطن الانحراف والشر والجريمة ، ولكي تكون هذه الجماعات المؤسسية فاعلة ومؤثرة في رسالتها التربوية التنشيئية وفي توجيهاتها وإرشاداتها ، ومتمكنة من زرع وبلورة القيم والممارسات الإيجابية عند أعضائها ، عليها أن تنسق أنشطتها ، وتوحِّد برامجها ، وتتعاون فيما بينها ، من أجل التأثير في أولئك الأعضاء والمنتسبين ، كما ينبغي أن لا يكون هناك تقاطع وتناقض بين هذه الجماعات برسالتها التربوية والقيمية ، فذلك قد يضعِف دور هذه الجماعات في توجيه أفرادها ، ويشجع في الوقت ذاته أفرادها على عدم التمسك بالمبادئ والقيم الإيجابية ، والتهرب منها كلما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً .

ت ـ ظروف الحياة العامة التي تعيشها الفتاة : لو كانت الفتاة تتمتع بظروف اجتماعية واقتصادية ومعنوية جيدة ، ومقتنعة ومكتفية بحالها ، ستكون محترمة ومقيَّمة من قبل المجتمع ، وذلك يجعلها تتسم بمعنوية عالية ولا يعتريها الانكسار النفسي ، وهكذا ظروف ستساعدها في الاندفاع على تعلم واكتساب القيم والمبادئ الإيجابية والتجاوب معها ، وكتحصيل سيكون فعلها وسلوكها وفق مفردات وحدود وإلزام هذه القيم والمبادئ وتعاليمها ، أما إذا كانت الظروف الاجتماعية والاقتصادية والمعنوية المحيطة بالفتاة سلبية وقاهرة ومثبطة ، فإن الفتاة لا يمكن أن تتعلم القيم والممارسات الإيجابية ، بل العكس قد تتعلم القيم والممارسات الضارة التي تفرضها طبيعة الظروف الصعبة والمتناقضة التي تعيشها ، إن ذلك يعيد علينا القول أن الأسرة هي البودقة التي تنصهر بها ذات الفرد ثم تُصاغ في قالب الشخصية التي بريقها يعكس السمة والسلوك (أحسِن في رعاية الأسرة واعدل في توزيع الثروة) والثروة هنا لا تعني المادة فقط بل هي المتابعة المعنوية فأنك إن طبقت ذلك ستحصد مجتمعاً نموذجياً .

ث ـ نوع وطبيعة شخصية الفتاة : رغم تعدد الشخصيات وتنوع طبيعتها يعدُّها العلماء ما هي إلّا مراحل ثانوية أو صور ناقصة لشخصيتين هامتين أساسيتين وهما الشخصية الممتدة أو المنبسطة والشخصية المنكمشة أو المنقبضة ، إن طبيعة شخصية الفتاة تلعب الدور الكبير في إيمانها أو عدم إيمانها بالقيم الإيجابية التي يؤكد عليها المجتمع وقادته

، فعندما تكون شخصية الفتاة منبسطة وناضجة وخالية من العقد والأمراض النفسية وتتسم بالوضوح والاستقامة باتجاه العدل والخير ، لابدّ وان تقود صاحبتها لتعلُّم المبادئ والقيم الجيدة واعتمادها في سلوكها ، وبذلك تصبح الفتاة متكيِّفة للمجتمع ومتجاوبة مع أخلاقيته وسلوكيته ومستقرة في مؤسساته البنيوية على اختلاف تخصصاتها وأهدافها ، ومثل هكذا فتاة سيسهَل عليها تحقيق طموحاتها الذاتية والمجتمعية ، وتصبح أداة نافعة للبناء والتنمية والتقدم الاجتماعي ، أما إذا كانت شخصيتها منقبضة ومعقدة تملأها السلبيات فإنها لا تستطيع اكتساب القيم الفاضلة والخيِّرة وغير قادرة على أداء مهامها والقيام بالتزاماتها .

٣ . الإيمان والثقة بالنفس طابع شخصية الفتاة العراقية :

عندما تلتزم الفتاة بقيمة الإيمان ، أي التمسك بمبدئية بالعقائد والممارسات الاجتماعية الإيجابية التي يؤمن بها مجتمعها ، فإن سلوكها وعلاقاتها مع الآخرين تكون بناءة ومثمرة وبدرجة عالية من الإيجابية والفاعلية ، وذلك منبعثاً من مبادئها وقيمها وأفكارها ، فيكون سلوكها مبدئياً وعلاقاتها مستقيمة وملتزمة في كل الظروف ، فالفتاة التي تؤمن بمبادئ الصدق والإخلاص في العمل ، فإنَّ سلوكها في الحياة اليومية وإنجازها لأعمالها وواجباتها وطريقة تقديم خدماتها الوظيفية للمجتمع تكون صادقة ومخلصة ونزيهة ونظيفة من الغش والكذب ، فقد آلت على نفسها أن تتفانى في خدمة المجتمع بتقديم الخدمات النافعة والجليلة ، وتقديم المصلحة العامة على الخاصة ، وهذه السمات تقودها للنجاح وللمجتمع بالفائدة والتطور فيمنحها الثقة والتقدير فتزداد قوة شخصيتها وتكون مؤثرة في الآخرين(٣/ ١٠٤) .

أما قيمة الثقة بالنفس التي تؤمن بها وتربَّت عليها الفتاة ، فتجعلها واثقة من إمكاناتها وقدراتها الموضوعية والذاتية ، قادرة على اتخاذ القرار المستقل فيما يتعلق بمستقبلها ويرسم صورته ويحدد مساره ، فالفتاة الواثقة من نفسها والملتزمة بمبادئ وقيم مجتمعها ، والتي يتمحور سلوكها حول ما تؤمن به وتعتقد بصلاحيته ، إنما هي الفتاة التي تتخذ القرارات الصحيحة الناجحة التي تقود إلى رفع مكانتها وتعزيز شخصيتها وتثبيت مركزها الواضح في الأسرة والمجتمع ، أما الفتاة التي تنقصها قيمة الثقة بالنفس فتكون منقبضة الشخصية وفاقدة الإرادة ومسلوبة الرأي والموقف ، ولا تستطيع اتخاذ أي قرار مستقل يدعم مكانتها ويعزز شخصيتها ويمكنها من تحسين أوضاعها وظروفها الخاصة والعامة ، فتبقى تعيش بشخصية منكمشة ومترددة مسلوبة القرار (٣ / ١٠٥) .

عندما تكون شخصية الفتاة متكاملة وناضجة ومؤثرة نتيجة لتمسكها بقيم الإيمان والثقة بالنفس ، فذلك سيمنحها الشجاعة والطموح لأن تنزع إلى الالتزام بقيم إيجابية أخرى كقيم التفاؤل والصراحة والصدق والنزاهة والحرص والإيثار والصبر والتحلي

بالأخلاق الحميدة وبالفضيلة ونصرة الحق والعدل ، والإخلاص في العمل والالتزام بقيمه ومراعاة الحقوق والواجبات لها وعليها ، وتنسج منها منظومة قيم إيجابية متكاملة ترسم شخصيتها الاجتماعية المنبسطة المنفتحة التي تؤطر سلوكها في المجتمع ، وعندما تعكس الفتاة جميع هذه القيم كلٌ باتجاهه على سلوكها وتصرفاتها ، وتبرئ ذاتها من القيم السلبية وترفضها رفضاً قاطعاً ، سيجعلها ذلك قدوةً لزميلاتها الفتيات في بناء الشخصية ، وبنفس الوقت يمنحها ذلك الجرأة العالية على نقد القيم السلبية ورفضها ومحاربتها بكل اقتدار بتطويقها وتصفية آثارها ، إن تكامل ونضوج شخصية الفتاة والتزامها بالقيم الإيجابية وتبرؤها من القيم السلبية ، سيضفي عليها سمة الإقناع والتأثير بالآخرين ، ويؤهلها لتمارس دورها الإرشادي في توجيه زميلاتها لتبني عوامل بناء الشخصية المنبسطة الممتدة بنجاح (٣ / ١٠٥و١٠٦)بتصرف .

وفي مسك الختام لعرضنا العوامل التي تؤثر في بناء وتكوين شخصية الإنسان ، وذكرنا أنها إما عوامل بيولوجيه أو عوامل بيئية ، ولو تبيَّنا الأمر بعمق سنجد الأخيرة لها النصيب الأكبر في التأثير ، آخذين بالحسبان أن العوامل البيولوجية محكومة بالمحدد الطبيعي وهو الوراثة ، ولكن أرى أن هناك عاملاً لم أجد له طرحاً في المصادر وهو تاريخ الشخص فكثيرون سطعت شخصيتهم في التاريخ بومضة رسمت خصوصية لما تبقى من حياتهم ، فمكتشف المغناطيس كان راعياً فالتصق بحذائه قطع حديد ، واشتهرت شخصية العالم " نيوتن " عن حدث وقع مصادفة .

وفي جانب ازدواجية الشخصية العراقية المعاصرة فكأنها أرثاً لم ولن نستطع التبرؤ منه ، فلو ناقشنا الأسباب التي ذكرها " الوردي " نلاحظ أن تلك الأسباب قد اندثرت لكن ازدواج الشخصية لم يختفي فاحتضنته أسباب جديدة ، ويعزا سبب ذلك إننا بعدما تحررنا من الاستعمار وتأسيسنا حكماً وطنياً لم نخطط لثورة نهوض تنموي حضاري ، بل انشغلنا في صراعات السياسة ، فيكون التحصيل أن عمر الوزارة بضعة سنوات ثم تزاح بانقلاب ، فأي تخطيط يمكن إنجازه في هكذا فترة قصيرة ، فبقي الجهل والتخلف والفقر مخيماً على الأسرة العراقية ، فهي تجهل الكثير عن التنشئة الاجتماعية تلك التي تبني شخصية الطفل ، فيصبح لا محيص من نقل تراث الماضي السحيق ، فقد بقيت ثقافة التنشئة أساسها الخرافات وما تناقلته العجائز شفاهاً بفطرتهنَّ ، فهل يؤمل من هكذا تنشئة بخلق وترسيخ مفاهيم كمفهومي الإيمان والثقة بالنفس ، ولهذه الأسباب وغيرها حصدنا فكراً وسلوكاً منحرفاً بامتياز ، رغم إننا عقدنا الهمة في النهوض التنموي وبخطط دقيقة ومحكمة في العقد السادس وبزغت شمس التطور ولكن ومع الأسف لم نتمتع بها إلا لعقدين وأفَلَتْ بسبب اشتعال حرب ضروس دامت لقرابة العقد من الزمن أحرق أوارها البشر والحجر وخرب نفوس من بقوا أحياء والنفوس العليلة لا تبني بشر .

المبحث الرابع : الاستنتاجات والتوصيات

١ . الاستنتاجات

يُعنى المجتمع العراقي بكيفية تربية الفتاة تربية نفسية واجتماعية وخلقية تؤسس لبناء شخصية منبسطة ومدركة ومقتدرة للفتاة ، هذه التربية تستمدها مؤسسات التنشئة من التراث القيمي ، ومن العادات والتقاليد الاجتماعية ، ومن معطيات وخصوصيات البيئة الثقافية التي تعيش فيها الفتاة من ضوابط وقوانين وضعية وشرعية منظِمة لعلاقات وممارسات وتفاعلات المرأة في مجتمعنا ، بما يحقق غرس الإيمان وتعزيز الثقة بالنفس وترسيخ القيم الإنسانية والوطنية والقومية في شخصية الفتاة العراقية ، وأسند المجتمع هذه المهمة إلى مؤسسات التربية والتنشئة كالأسرة والأقران والمدرسة ووسائل الإعلام ودور العبادة لتحقيق الغاية ، ومن خلال التحليل النظري للدراسة ومتابعة الحياة اليومية لما يدور في المجتمع توصل الباحث للآتي :

أ . بسبب التراكمات الحضارية القديمة ، وتعاقب الأنظمة الغير جادة بإنهاض العراق تنموياً وحضارياً ، اكتسبت الأسرة العراقية ومنهم الفتاة الكثير من القيم السلبية المستمدة من فكر الجهل والتخلف كازدواج الشخصية والنظرة المتخلفة للمرأة وغيرها ، وهذه سمات سلبية تستوجب النبذ ، وعليه ينبغي إعادة النظر ببرامج التربية والتنشئة في مؤسسات التنشئة كافة من الولادة حتى نهاية عمر الطفولة بما يحقق تجاوز هذه السمات.

ب . تعددت وتنوعت مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي تتبنى تربية وتنشئة الفتاة العراقية وذلك يحتاج إلى التفاعل التام بين هذه المؤسسات في زرع وبلورة القيم الإيجابية ونبذ ومحاربة القيم السلبية ، وعليه لا بد أن يكون الارتباط والتنسيق بينها على أوسع المجالات وبأدق الصيغ لتحقيق التكامل وتجنب الازدواجية أو التعارض والتقاطع أو إهمال بعض المفاصل .

ت. إن عملية بناء الثقة بالنفس تعدُّ من أهم ركائز شخصية الفتاة ولا يمكن اكتسابها إلّا بامتلاك قوة الإرادة وبالتدريب والممارسة على صنع القرار وبالالتزام بمبادئ وقيم المجتمع باستمرار ، وعليه على مؤسسات التنشئة أن تترك هامش للفتيات المتدربات بالإبداع ليتمرنَّ على اتخاذ القرار الصائب ويمتلكن الثقة بالنفس .

ث. إن إيمان الفتاة بإمكاناتها وقدراتها وقابليتها هي ومجتمعها ، لا يحصل إذا لم تمتلك تلك الفتاة درجة عالية من الوعي والثقافة الاجتماعية والمهارة الشخصية والمهنية ، وعليه لابد من أن تنال نصيبها من التعليم الأكاديمي وتمتلك الثقافة والمعرفة في الحياة اليومية والعامة وتغادر حالة الجهل والتخلف .

ح . لكي يتحقق للفتاة الإمكانية في إعداد نفسها إعداداً شخصياً ومهنياً ، ذلك يتطلب رعاية الأسرة التي تربيها وتنشئها مادياً ومعنوياً ، وذلك يتحقق بدعم الدولة بقرارات تعالج الجانب المادي والمعنوي للأسرة ، وعليه يجب معالجة موضوع تعيين الشابات

المتخرجات واستثمار طاقاتهن وتحقيق أحلامهن ، وتهيئة فرص العمل لغير الخريجات بالقطاع الخاص أو العام بإنشاء المعامل والمصانع الملائمة لقدرة المرأة .
خ . إن وسائل المعلوماتية الحديثة منحت الفتاة أمكانية الإطلاع على ثقافات متنوعة قد لا يتوافق بعضها مع عادات وتقاليد مجتمعنا ، لاحتوائها على قيم ومفاهيم ضارة ، وهذه إن استقرت وترسخت في ذهن وشخصية الفتاة العراقية ستترك تأثيراً ضاراً ومخرباً في السلوك ، وعليه يتطلب من الأسرة الرعاية المكثفة والدقيقة وتوعية الفتاة بأضرار ذلك على شخصيتها وسمعتها ، وكذلك متابعة الفتاة ونصحها بنبذ تلك القيم والمفاهيم الغريبة على ثقافتنا بأي طريقة .
د . ورث المجتمع العراقي نظرة متخلفة عن المرأة بسبب الجهل والتخلف الذي عاشه ويعيشه ، وتلك النظرة رسمت صورة لقيم ومفاهيم سلبية عن المرأة تحطُّ من قيمتها وتشكك بقدراتها ، فكثير من الرجال ذوو الأفكار الغير سليمة يعدُّون المرأة إنما خلقت للاستمتاع الجنسي معها فقط ، وعليه لابد من تثقيف الرجل مثلما نثقف المرأة فهي شريكته بكل شيء ، لكي نقوي معنوياتها ، ونرفع من مكانتها الاجتماعية ، ونقلل الهوة بينها وبين الرجل .

٢ . التوصيات

أ . على الدولة وضع سياسة تربوية تنشيئية عصرية ، تنتشل المجتمع العراقي من حالة الجهل والتخلف ، وتؤسس وتبني جيلاً جديداً مكتسباً لقيم ثقافية عصرية خاصة بمجتمعنا والمستمدة جذورها من أصالة حضارتنا العربية العريقة ، وهذه القيم سترسم الصور المشرقة للشخصية الممتدة المنبسطة للفتاة العراقية .
ب . لا بدَّ من التنسيق بأوسع المجالات وبأدق الصيغ بين مؤسسات التربية والتنشئة لكونها متعددة وتتبع لعدة وزارات ، لكي تتوحَّد الأهداف التربوية والتنشيئية المتحققة منها في غاية واحدة وهي بناء الفرد العراقي بناءاً صلباً بشخصية سليمة من الأمراض.
ت . على المدرسة العمل بمفردات عملية وتطبيقية ، لترجمة الجانب النظري من العلم والمعرفة الخاص في بناء الإنسان عند التعلم والتثقيف ، إن ذلك يستوجب منح الفرد جانباً من الهامش ليَخْبُر ويجرب في حياته اليومية كي يكتسب الثقة بنفسه أولاً ، ثم يُثني ويكرر ليتعلم الثقافة وبعدها العلوم ، فلا تلمع شخصية الفتاة إلّا بثقتها بنفسها من تجارب ذاتها .
ث .على الأسرة تشجيع الفتاة ومنحها الفرص لتنال نصيبها من التعليم وتحقيق رغباتها في امتلاك المعرفة ، لكي تزاوجها مع ثقافتها الاجتماعية ، وتمتلك الإيمان بقدراتها الشخصية فتتفاعل مع الآخرين وتتيقن من قدراتهم ، فتغرس في شخصيتها صفة الإيمان بقدرات ذاتها وبقدرات الآخرين .

ح . على منظمات الدولة ذات الشأن رعاية الأسرة رعاية مادية ومعنوية ، فدعم الجانب الاقتصادي أمر يمكن تحقيقه في معالجة موضوع تعيين الشابات الخريجات ، وتهيئة فرص العمل لغير الخريجات بفتح المصانع والمعامل التي تلائم طبيعة قدرات المرأة بالعمل ، فذلك سيحقق صون الفتاة من الانجراف للسلوكيات التي تتنافى والقيم الاجتماعية الأصيلة ويعزز السمات الإيجابية في شخصيتها .
خ . على وسائل الأعلام التوعية والتثقيف بكل أساليبها ومنافذها عن كيفية الاستفادة من الجانب الإيجابي لخدمات منظومة المعلوماتية الحديثة ، ونبذ والابتعاد عن الجوانب السلبية التي تصدر منها ، لِما تشكله من ضرر على تربية وتنشئة الناشئة .
د . على وسائل الأعلام تثقيف المجتمع بمكانة المرأة كشريكة للرجل في كل مجالات الحياة ، وبدورها التربوي التنشيئي الأساسي في بناء الفرد في مراحل نموه التطوري الأولية في الطفولة ، ورسم شخصيته المنبسطة الممتدة ، وإزالة الأفكار المترسبة البالية عند البعض من أن المرأة خُلقت للمتعة الجنسية وحسب .

المراجع

١ . الوردي . علي حسين ، *شخصية الفرد العراقي* ط٢ ، منشورات دار ليلى ، لندن ٢٠٠١م
٢ . غيث . محمد عاطف ، *علم الاجتماع* ، دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية ، مصر ١٩٩٠م
٣. الحسن . إحسان محمد ، *علم اجتماع المرأة* ط١ ، دار وائل للنشر ، عمان ٢٠٠٨م
٤ . عباس . فيصل ، *قياس الشخصية* ط١، دار المنهل اللبناني ، بيروت ٢٠٠٣م
٥ . الحسن. أحسان محمد ، *موسوعة علم الاجتماع* ط١ ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ١٩٩٩م
٦ . فالادون . سيمون كلابيه ، *نظريات الشخصية* ، ترجمة علي المصري ، المؤسسة العامة للدراسات ، بيروت ١٩٠٠م
٧ . الخشالي . شاكر حسين ، *علوم اجتماعية*/ الإصدار الأول ، مطبعة جامعة ديالى ، بعقوبة ٢٠١٤م
٨ . سعيد . محمد مظهر ، *علم النفس الاجتماعي* ط٢ ، مطبعة نهضة مصر بالفجالة ، القاهرة ١٩٤٥م
٩. غدنز. أنتوني ، *علم الاجتماع* ، ترجمة فايز الصياغ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ٢٠٠٥م
١٠ . عمر . محمود أحمد وآخرون ، *القياس التربوي والنفسي* ط١ ، دار المسيرة ، عمان ٢٠١٠م

١١ . السيد . فؤاد البهي ، *علم النفس الاجتماعي* ط٣ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٥٨م
١٢. العمر . معن خليل ، *التنشئة الاجتماعية* ، دار الشروق ، عمان ٢٠٠٤م
١٣ . عثمان . إبراهيم عيسى ، *النظرية المعاصرة في علم الاجتماع* ، دار الشروق ،عمان ٢٠٠٨م
١٤. الخشالي . شاكر حسين ، *أثر الحروب على تنشئة الأطفال* ، مطبعة جامعة ديالى ، بعقوبة ٢٠١٤م
١٥. النوري . قيس ، *آفاق التغيير الاجتماعي النظرية والتنموية* ، مطبعة جامعة بغداد ، بغداد١٩٨٥م
١٦ . الخشالي . شاكر حسين ، *ثقافة تربية الأطفال* ، دار بصمات باللاذقية ، سورية ٢٠١٠م
١٧ . سبوك . دكتور ، *مشاكل الآباء في تربية الأبناء* ، ترجمة منير عامر ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٧٥م

تنويه : الهامش المؤشر في متن الدراسة هذه عبارة عن كسر اعتيادي بسطه يمثل تسلسل المرجع في القائمة أعلاه ومقامه يمثل رقم الصفة في ذلك المرجع .